مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 51 السنة: 2020

الاختلاق في السيرة النبوية في ميزان المنهج التاريخي.

Lying in the biography of the Prophet in the balance of the historical method

د. نبيل زياني[1]
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
Ziani111@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2019/09/27 / القبول: 2019/05/25 /النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 27/09/2019 / Accepted: 25/05/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخص:

اتجهت الكتابات الاستشراقية والحداثية في كتابة السيرة النبوية إلى منهج يتميز بأنواع من الاختلاق المبنية على الخيال الحر الذي يستوقف بقوة أي قارئ لتلك الكتابات، وهذا المقال هو وقفة علمية عند هذه الظاهرة الخطيرة جدا من أجل رصد مظاهرها التي اتخذت أشكالا ثلاثة هي: الاختلاق المحض، وإنكار الحقائق التاريخية، والوقوع في الأخطاء التاريخية الفادحة، ومن هنا استشكل هذا المقال خلفيات هذا التصرف، وافترض أنها منهجية تاريخية خاصة، لكن بعد التحقيق وجد أن المنهج التاريخي العلمي الغربي بريء من هذا التصرف، ولا يعود الأمر إلا لسلوك نفسي سيئ يكيل للسيرة النبوية بغير المكيال العلمي الذي يتغنى به ويُعرف به.

الكلمات المفتاحية: اختلاق، سيرة، منهج، تاريخي.

Abstract:
Orientalist writings on the biography of the Prophet were characterized by lying and reliance on the vast imagination that amazes every reader of these writings. This article is a scientific stand at this very dangerous phenomenon in order to monitor its manifestations that have taken three forms: pure fabrication, denial of historical facts, and making fatal historical mistakes. Hence this article formulated the backgrounds of this behavior and assumed that it is a historical methodology, but after the investigation it was found that the scientific historical method is innocent, and it is only due to a bad psychological behavior far from the scientific method.
Key words: fabrication, biography, curriculum, historical.

[1] – المؤلف المرسل: نبيل زياني، البريد الإلكتروني: Ziani111@yahoo.fr

مقدّمة

يتشرف الباحث بتناول الدراسات المتعلقة بعلوم الحديث والسيرة النبوية، ويأمل من خلالها أن يكون من زمرة المدافعين عنها مؤديا لواجبه العصري كما أداه أهل الحديث قديما، الذين قاموا بكشف الوضع والدس في السنة والسيرة النبوية كونهما مصدرا مهما من مصادر التشريع في الإسلام، لكننا اليوم نواجه مشكلة عدم الاعتراف بمنهج المحدثين في تنقية الأخبار وصونها، والادعاء بأنه منهج تم اختلاقه بعد قرن ونصف من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لأسباب سياسية معينة، وبالرغم من أن تفنيد هذه الشبهة سهل إلا أن البحث عن طريقة جديدة للدفاع عن السيرة النبوية وتجديد الردود الإسلامية بما يتوافق مع التطور العلمي الحاصل أمر مفيد وضروري، ولعل محاكمة الطاعنين في السيرة النبوية من خلال الاحتكام للمنهج التاريخي الغربي الذي يفتخر به أصحابه كثيرا يكون من صميم ذلك التجديد، وعليه فإن هذا المقال سيقوم بعرض نماذج وأشكال عديدة من الاختلاق والكذب في السيرة النبوية على ميزان المنهج التاريخي ليجعل إدانة تلك الترهات بأيدي أصحابها، وهذا أبلغ في الرد وأقوى في التأثير، من حيث الجانب العلمي ومن حيث الجانب الأخلاقي.

1_ المنهج التاريخي ودراسة السيرة النبوية:

يعول الدارسون لتراثنا الإسلامي من المستشرقين والحداثيين كثيرا على التاريخ تحقيقا ومناقشة ومقارنة وتحليلا من أجل إيجاد ما يمكن أن يعتبر أدلة ضد ثبوت السنة الشريفة والسيرة النبوية، وليس لهم غير التاريخ مسلكا بعد رفضهم لمنهج المحدثين وتشويهه، وللتمثيل على ذلك نورد قولا لأحد الحداثيين عن تعويلهم على التاريخ، وقولا لآخر عن منهجهم في الطعن في السنة والسيرة من خلال مباحثنا التاريخية.

1_1 التعويل على المنهج التاريخي: قال إسماعيل أدهم[1] بعد طعنه في روايات أبي هريرة وابن عباس واتهامهما بانتحال الأحاديث: "وهكذا يتزلزل علم الحديث من أساسه وينهار تحت ضربات البحث التاريخي المقارن"[2].

1_2 الطعن في السنة والسيرة من خلال مباحثنا التاريخية: وهذا ما يعرف بقاعدة إفحام الخصم من كلامه، فالمستشرقون يفضلون الرد على علماء الحديث والسيرة من رواياتهم، ويرونها أقوى الأسلحة في حربهم مع الإسلام،

[1] إسماعيل أدهم (1940/1901م)، كاتب مصري من أصول تركية، أحرز على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة موسكو، وكتب في الأدبيات والتاريخ، وتولى رئاسة إحدى المراكز البحثية الروسية في الدراسات الشرقية، من أشهر كتبه: لماذا أنا ملحد، من مصادر التاريخ الإسلامي.

[2] إسماعيل أدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، مطبعة صلاح الدين الكبرى، القاهرة، ط1، دت، ص 28 .

ويستعملونها كثيرا في كتبهم قال أبو رية[1]: "ولذلك فإننا ننبه إلى أننا إذا أوردنا حديثا في كلامنا فإنما نورده لنقيم به الحجة على الخصم الذي يأخذ به، وليس لأنه عندنا مما تثبت به الأحكام، فإن رد المجادل إلى ما يؤمن به هو أدعى إلى ظهور الحق من رده إلى ما لا يؤمن به، وتلك قاعدة شرعية وعقلية ثابتة عند سائر العقلاء دون استثناء"[2] ، قلت: حسنا سوف نردكم أنتم أيضا إلى ما تؤمنون به، وسنرى إن كان سيظهر لكم الحق أم لا، لكن هذا بعد عرض ما تداولته كتبكم عن سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبالخصوص الخلفاء الراشدين، وكذلك ما تمت كتابته عن المحدثين الذين دونوا تلك السيرة.

2_ الاختلاق في السيرة النبوية:

بلغ الاختلاق والافتراء عند المستشرقين والحداثيين منتهاه في دراستهم للسيرة النبوية ونقلها لقرائهم، وأخذ أشكالا ثلاثة تصدم القارئ المسلم ولو كان مبتدئا في مستواه الدراسي للموضوع، وهذه الأشكال هي: الاختلاق المحض، وإنكار الحقائق التاريخية، والوقوع في الأخطاء التاريخية الفادحة، سأقوم بعرض عدد مهم من الأمثلة لهذه الأشكال في العناصر الآتية دون قصد الرد عليها إلا نادرا، لأن الرد عليها يأخذ مساحة كبيرة من البحث، ثم إن العلماء والباحثين تكفلوا بالردود عليها في الكتب التي سأشير إليها في الهامش وهي متيسرة، وإنما القصد هو تكوين فكرة عن مدى الاختلاق في السيرة النبوية من أجل تقييمه وفهم حقيقته.

2_1 الاختلاق المحض.

أقوم في هذا الفرع بعرض بعض النماذج بعبارات مختصرة وفق ترتيبها التاريخي، وسأقوم لاحقا بتلخيصها وفق نوعها المنهجي.

2_1_1 زعم المستشرق مكسيم رودنسون[3] أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان من الحمس، وأنه كان يشاركهم في احتفالاتهم، ومعنى الحمس هم: "الأشداء الأقوياء، أو المتطرفين بلغة العصر، والحمس لهم معتقدات خاصة بهم ابتدعتها قريش إما في عام الفيل أو بعده، وتقوم عقيدة الحمس على أنهم ماداموا هم أولاد إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وسكان مكة فليس لأحد من العرب من الحق مثل ما لهم، ولا له مثل منزلتهم، ومن ثم تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها،

[1] محمود أبو رية (1970/1989) كاتب مصري اشتهر بنقد السنة النبوية ومنهج المحدثين، وانتقد أبا هريرة كثيرا، من كتبه: أضواء على السنة المحمدية، أبو هريرة شيخ المضيرة، قصة الحديث المحمدي..

[2] عبد العظيم إبراهيم المعطي، أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999، ص 44.

[3] مكسيم رودنسون (2004/1915) مؤرخ ماركسي فرنسي مهتم بعلم الاجتماع والإسلاميات، عمل أستاذا في السوربون وألف عدة كتب في السيرة النبوية.

واستحدثوا طريقة خاصة بهم في الطواف حول الكعبة إذ أوجبوا الطواف في ثياب خاصة، كما أجازوا الطواف للرجال عراة"[1]، هؤلاء هم الحمس، ولم يأت في أي كتاب وبأي إسناد صحيح أو ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان منهم، بل ثبت أنه رفض عقيدتهم وأنهى أمرهم بناء على أمر الله تعالى في قوله: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [البقرة: 199]، وقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]، وأسند ابن إسحاق عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخالفهم في أمور المناسك قبل البعثة[2].

2_1_2 وتحدث مكسيم رودينسون عن طلب النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه يد أم هانئ للزواج، وأنه تم رفضه لفقره، فتزوجت أم هانئ من شخص آخر، لكن محمد ظلت على علاقة طيبة معها[3].

2_1_3 وقال رودنسون: "لا توجد أمة أشد ميلا إلى ممارسة الزنا من العرب، وإذا كانت نسبة عمليات الزنا في العالم من عشرة فإن العرب يختصون منها بتسع، ثم يقسم الواحد المتبقي على جميع أمم العالم"، هذا الكلام عندما يأتي في سياق حادثة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة فهو طعن واضح في شرف النبي صلى الله عليه وسلم وأهله، وصرف للفظ الزواج الشرعي إلى مفهوم الدعارة والإباحية التي نشأ فيها الكاتب وتربى عليها وأصبح يسقط كل العلاقات الزوجية في التاريخ على ضوئها، وعلى الرغم من أنه لم يذكر لنا مؤسسة سبر الآراء العالمية الموجودة آنذاك التي نشرت هذه النتيجة، فإننا لا نطالبه أكثر من عدم إخفاء حديث أبي هريرة مرفوعا: "بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ"[4].

2_1_4 وزعم رودينسون أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ من مسيلمة الكذاب شيئا من أمور الدين، بقرينة أن دينيهما متكافئين، وأن مسيلمة قد سبق محمدا في دعوى النبوة، وشكك في رسالة محمد إلى مسيلمة آخر سنة عشر للهجرة التي سماها فيه كذابا[5]، لكن هل يستطيع التشكيك في حروب الردة _ ومنها حرب مسيلمة_ التي ملأت التاريخ وكادت الكتب أن تصرخ بها ؟.

---

[1] محمد محمد أبو ليلة، محمد بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودينسون، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1999م.ص 70 نقلا عن سيرة ابن هشام.

[2] محمد بن إسحاق، سيرة ابن اسحاق، دار الفكر، بيروت، ط1، 1978، ص 98.

[3] محمد أبو ليلة، مرجع سابق، ص 74.

[4] محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ص 4/ 189.

[5] محمد أبو ليلة، مرجع سابق، ص 110.

2_1_5 بين مارجليوث[1] سبب إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو: "حبه لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغه أنها خطبت لغيره حزن وأخبر أبا بكر بما بلغه، وصادف مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسر أبو بكر كلمات في أذن النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك انتهى الأمر وأسلم عثمان وتزوج رقية"[2].

2_1_6 ووصف درمنغم[3] جبريل علي السلام في قصة الإسراء والمعراج بأنه: "وضاء الجبين، أبيض الوجه كبياض الثلج، مرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المزركشة بالدر والذهب، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعش"[4].

2_1_7 وادعى المؤرخ فيليب حتي[5] أن محمدا هاجر إلى الحبشة مع أصحابه، وعندما هاجر إلى المدينة رافقه علي بن أبي أبي طالب[6].

2_1_8 واعتبر جورجي زيدان[7] أن اليهود هم من دفع الأوس والخزرج إلى الإسلام، نكاية في قريش التي كانت بينها واليهود منافسة في التجارة، فإذا قوي المسلمون فتحوا مكة وحطموا أصنامها[8].

2_1_9 وقال فيليب حتي أن المسلمين استعملوا الناقوس للنداء للصلاة[9].

2_1_10 وأن قوع غزوة بدر في شهر رمضان وهو من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال[10].

2_1_11 وأن شهداء بدر ثمانون رجلا[1]، والصحيح أنهم أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

---

[1] دفيد صامويل مارجليوث (1940/1858) مستشرق إنجليوي يهودي، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، عمل أستاذا في جامعة أكسفورد، من كتبه: التطورات المبكرة في الإسلام، محمد ومطلع الإسلام..

[2] محمد سرور بن نايف، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1988م، ص 124.

[3] إميل درمنغم مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر أثناء الاستعمار، من آثاره: "حياة محمد" و"محمد والسنة الإسلامية" سنة 1955.

[4] ناصر بن عبد الكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2001، ص 398.

[5] فيليب حتي (1978/1886) مؤرخ أمريكي الجنسية لبناني المولد، درس في الجامعة الأمريكية ببيروت ثم التحق بجامعة كولومبيا وحصل منها على الدكتوراه سنة 1915 ، ثم عمل أستاذا بها وبعدة جامعات أمريكية أخرى، من أبرز مؤلفاته: تاريخ العرب، تاريخ سورية وفلسطين ولبنان..

[6] إسماعيل الكيلاني، لماذا يزيفون التاريخ ويعبثون بالحقائق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1993م، ص 64.

[7] جرجي زيدان (1914/1861) أديب ومؤرخ وصحفي لبناني أتقن عدة لغات، من مؤلفاته: تاريخ التمدن الإسلامي، تراجم مشاهير الشرق..

[8] محمد سرور، مرجع سابق، ص 203.

[9] إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 62.

[10] إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 59.

2_1_12 وقال المؤرخ الأمريكي فيليب حتي عن خالد بن الوليد: "ومما يأخذه بعض المؤرخين على خالد أنه كان مولعا بشرب الخمر، ولكنه كان لا يشربها وهو في حومة الوغى، بل في أوقات راحته وساعات متعته"، ليته سمى مؤرخا واحدا من هؤلاء المؤرخين، لكنه لم يفعل، وقال: "واكتسب _ خالد بن الوليد _ شهرة واسعة وكان يلقب بسيف الإسلام، وذلك بسبب قسوته في المعارك، وقسوته هذه أدت إلى وقوع صدام بينه وبين عمر بن الخطاب انتهى أمره بإذلال القائد العظيم في سهول سورية"، وقال: "ودخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال له عمر: ما هذا يا خالد؟ فقال خالد: وما هو البأس في هذا يا أمير المؤمنين؟ ألم يلبسه عبد الرحمان بن عوف؟ قال عمر: وهل أنت كعبد الرحمان بن عوف؟... سؤال مغيظ، فلماذا تجاوز وهو العادل المكين؟ إنها النفوس وسبحان العليم بما خفي واستتر"[2].

2_1_13 وادعى أبو رية أن أبا هريرة صحب النبي صلى الله عليه وسلم وعمره سبع سنين، وعندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم تركه وهو ابن عشر سنين فقط[3].

2_1_14 وقال وات[4]: كان صفوان بن المعطل الذي اتهمت به عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك جميلا، وقد سبقت له علاقة معها، أما تبرئتها فقد جاءت من محمد فقط، وليست من الوحي[5]، وعليه فهي تبرئة عاطفية فقط.

2_1_15 قال أبو رية: "عبد الله بن عمرو أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويها للناس عن النبي"[6]، وذكر أبو رية أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: "لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض القردة"[7]، نسب هذه الرواية لابن كثير في البداية والنهاية، وهي فيه بغير ذلك اللفظ ولا المعنى، وإنما قال له: "لتتركن الحديث عن الأول" أي اليود والنصارى، وقد عُرف كعب الأحبار بالإكثار عنهم.

---

[1] إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 65.

[2] إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 72 و79 و82.

[3] سالم علي البهنساوي، السنة المفترى عليها، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 1989، ص 294.

[4] مونتجمري وات (2006/1906) مستشرق بريطاني درس اللغة العربية والإسلاميات في جامعة أسكتلندا، من أشهر كتبه: محمد في مكة، محمد في المدينة.

[5] عبد الله محمد النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات وبروكلمان وقلهاوزن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997، ص 163.

[6] سالم علي البهنساوي، مرجع سابق ص 284.

[7] سالم علي البهنساوي، مرجع سابق، ص 284.

2_1_16 قال لامانس[1]: "كان محمد ذا شهية قوية جيدة، وقد اكتظ جسمه فأصبح مهددا بداء السكتة القلبية حتى مات"[2].

2_1_17 قال طه حسين[3]: "ورأينا أبناء أبي بكر وعمر وعثمان وزهرة الشباب الهاشمي مضطرين أن يحيوا في ضياعهم، فأما أكثرهم فانصرف إلى اللهو والمجون، وأما أقلهم فانصرف إلى الدين والتلقي"[4].

2_1_18 وادعى حسين أحمد أمين[5] أن عثمان حذف من القرآن 500 آية تطعن في بني أمية وتذم أبا سفيان"[6].

2_1_19 ونقل د.عبد العظيم المطعمي عن مقال مجلة روز اليوسف أنه قد ضياعت 500 خطبة من خطب النبي صلى الله عليه وسلم، لم تدون عمدا بسبب الأغراض السياسية للمحدثين[7].

2_2 إنكار الحقائق التاريخية.

هذه أمثلة عن بعض الحقائق التاريخية التي ثبتت بلا ريب، ولا تزال آثارها المادية والعلمية والعقلية شاهدة على ثبوتها، لكن تأبى أقلام الرفض والتزييف إلا إنكارها.

2_2_1 إنكار بناء إبراهيم وابنه إسماعيل للكعبة رغم ورودها في القرآن الكريم في عدة آيات كقوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]، وهي من القصص المتواترة عند علماء الإسلام، وعلماء التاريخ والآثار المسلمين وغيرهم، ولم يقل أحد من العالمين ما قاله طه حسين أنها أسطورة

[1] هنري لامانس (1937/1862) مستشرق بلجيكي عاش في لبنان عمل أستاذا في اللغة العربية واهتم بالدراسات الشرقية، وخصوصا بالتاريخ الإسلامي والخلافة الراشدة، وعرفت كتابات بالتحامل الشديد على الإسلام.

[2] محمد سرور، مرجع سابق، ص 123.

[3] طه حسين (1973/1889) أديب وناقد مصري درس في الأزهر وفي جامعة السوربةن بفرنسا، كتب في التاريخ العربي والإسلامي وأثارت كتاباته عدة ردود، من مؤلفاته: في الشعر الجاهلي، الأيام، على هامش السيرة.

[4] ناصر بن عبد الكريم العقل، مرجع سابق، ص 281.

[5] حسين أحمد أمين (2014/1932) كاتب ومفكر وديبلوماسي مصري، من كتبه دليل المسلم الحزين والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ..

[6] محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر، الرياض، ط3، 2001، ص 287.

[7] عبد العظيم المطعمي، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999، ص 86.

تتعارض مع النهضة التجارية والدينية الوثنية التي عرفت عن قريش آنذاك[1]، أي أن كل ما تعلق بالكعبة من أمر الديانات السماوية تم وضعه في فترة الإسلام.

2_2_2 إنكار حديث نزول الوحي في غار حراء (حديث "إقرأ") المروي في الصحيحين رغم شهرته وتواتره عند المسلمين وغير المسلمين، وأنه أصل القرآن والإسلام، وهو عند بروكلمان[2] مجرد ظنون وتخيلات، وفي هذا السياق يستميت وات على إنكار رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل[3]، وهذا الحديث يجب شطبه حسب رأي إبراهيم فوزي بدليل أن لغته ركيكة وأن جبريل المذكور فيه غير معروف في التوراة والإنجيل[4].

وفي الوقت الذي ينكرون فيه حديثا متواترا بهذه القوة يستشهدون بحديث مثله أو أقل منه تواترا لأنه في مصلحتهم، قال عبد الله النعيم: "إن مأزق وات يرجع للمنهج الانتقائي الذي يتبعه في دراسة السيرة، فهو حينما يدعي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الملك لإثبات أن الوحي انبثق من لا شعوره وعقله، فإنه يعتمد على حديث الزهري عن عائشة: "كان أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة" لأنه لا ذكر فيه للملك"[5].

2_2_3 إنكار حادثة انشقاق القمر التي اشتهرت في السيرة النبوية وتوافقت عليها أصح مؤلفات الحديث والسيرة[6]، وقال ابن كثير بتواترها وإجماع المؤرخين عليها[7]، ولم يكذبها أحد طيلة قرون، وقد وردت الحادثة في القرآن الكريم في سورة تحمل اسمها "القمر"، استهلت بقوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1]، ولطالما احتكم المستشرقون والحداثيون إلى القرآن الكريم كونه أقوى ثبوتا من السنة، وأمام كل هذا أنكر قوم من الطاعنين في السنة انشقاق القمر[8].

2_3 أخطاء تاريخية فادحة.

---

[1] محمد سرور، مرجع سابق، ص 224.

[2] كارل بروكلمان (1956/1868) مستشرق ألماني درس العربية وعدة لغات شرقية، حقق عدة كتب في التاريخ الإسلامي ومن أهم مؤلفاته: تاريخ الآداب العربية.

[3] عبد الله محمد النعيم، مرجع سابق، ص 73.

[4] إبراهيم فوزي، تدوين السنة، رياض الريس للنشر، ط3، 2002م، ص 195، وانظر الجواب على هذه الشبهة عند: غازي محمود الشمري، الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية، دار النوادر، دمشق، ط1، 2012، ص 274 وما بعدها.

[5] عبد الله محمد النعيم، مرجع السابق، ص 74.

[6] أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1994، ص 1/ 162.

[7] اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999، ص 7/ 472.

[8] عبد الل النجدي القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، المجلس العلمي السلفي، لاهور، باكستان، دط، 1986، ص 18.

والمقصود بها تلك النصوص والأخبار التي أوردها المستشرقون والحداثيون وعارضوا بها الوقائع التاريخية الثابتة، وما تقتضيه من التسلسل الزمني المنطقي، وعارضوا بها المنطق وطبيعة معيشة الناس في تلك الأزمنة القديمة..

2_3_1 اعتبر جورجي زيدان أن حادثة الفيل كانت وراء بروز قادة من العرب مثل خالد بن الوليد وأبي عبيدة وأبي بكر وعمر[1]، قلت: كيف ذلك وهؤلاء لم يولدوا آنذاك بعد؟.

2_3_2 وادعى هنري لامنس أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت في الثلاثين من العمر[2]، خلافا للثابت من من أنها كانت في الأربعين من العمر، والمقصود من هذه المخالفة التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم.

2_3_3 وادعى أبو رية أن عائشة رضي الله عنها ردت حديثا في صحيح البخاري عن سماع قتلى بدر لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم[3]، وعائشة لم تعاصر البخاري حتى ترد حديثه.

2_3_4 وتحدث أبو رية عن حرص أبي هريرة على الأكل، ورغبته في الطيبات، فكان يأكل عند معاوية ويصلي مع علي ويقول: "إن الأكل مع معاوية أدسم وإن الصلاة مع علي أفضل"[4]؟، كيف يفعل هذا والأول في الشام والثاني في العراق أو المدينة؟ قال الدكتور محمد عجاج الخطيب معلقا: "إلا أن يكون قد فعل ذلك أثناء الحرب في صفين، وما أحسبه كان يسلم لو فعله أثناء الحرب، إذن لاتهمه أحد الفريقين بالنفاق والجسس".

2_3_5 وادعى محمد أركون[5] أن مصطلح السنة استعمل لأول مرة من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 80 هـ، وأخطأ، حيث كان الخليفة في هذه السنة عبد الملك بن مروان، أما عمر فقد تولى سنة 99هـ، وذكر محمد أركون تكرارا أن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم استمرت في مكة والمدينة عشرين سنة، والصحيح أنها دامت 23 سنة[6].

2_3_6 أخطاء كثيرة في تواريخ وفايات الأعلام وبالخصوص الصحابة، وتواريخ الحوادث التاريخية، ليست مرة أو مرتين لنعتبرها أخطاء بسيطة، بل هي كثيرة، إن لم تكن متعمدة لغرض ما، فهي تدل على سوء النقل وضعف المنهجية وقلة

---

[1] محمد سرور، مرجع سابق، ص 199.

[2] عبد الله النعيم، مرجع سابق، ص 58.

[3] سالم البهنساوي، مرجع سابق، ص 288 .

[4] محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1982، ص 254.

[5] محمد أركون (2010/1928) مفكر وأكاديمي جزائري متخصص في لدراسات الشرقية، عمل أستاذا في جامعة السوربون، من مؤلفاته: الفكر الإسلامي قراءة علمية، العلمنة والدين..

[6] خالد كبير علال، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دار المحتسب، الجزائر، ط1، 2008، ص 238 و 243.

التدقيق التاريخي الذي ادعاه المؤلفون في مقدماتهم، وللتمثيل على ذلك: قولهم بوفاة عثمان بن عفان سنة 24هـ بدلا من 34هـ، وعلى بن أبي طالب سنة 28هـ بدلا من 40هـ[1].

2_3_7 وذكر عبد الحسين شرف الدين[2] قصة فيها أن عمر بن الخطاب قال لابن عباس: "ما أرى صاحبك إلا مظلوما" أي علي بن أبي طالب، فطلب منه ابن عباس أن ينصره، فأعرض عنه[3]، ومشكلة هذه القصة أن علي بن أبي طالب لم تقع عليه مظلمة ولم تكن له جماعة أو خصومة في خلافة عمر بن الخطاب.

3 تقييم موضوعي ومنهجي:

3_1 يتحصل القارئ للسيرة النبوية من كتب المستشرقين والحداثيين على صورة تختلف تماما عما قرره القرآن الكريم عن شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما ثبت بالأسانيد الصحيحة، يحصل على حياة رجل كباقي الناس، لا قداسة فيها ولا تمييز في دين ولا ذكاء ولا أخلاق ولا رسالة ولا أهداف، بل هو عندهم رجل عاش حياة العشق في شبابه، ثم ادعى كذبا وزورا نزول الوحي عليه استجابة لعوارض نفسية، ولتحقيق أغراض قبلية وسياسية، واستمد بعض التعاليم الدينية من مصادر بشرية قريبة من بيئته، وقد انطلت خدعته على مجموعة من الناس الوضاعين المرتزقة الذين اتخذهم أصحابا له، أما زوجاته فقد كانت علاقته بهن مشبوهة، وهو رجل ميال إلى الحرب حتى على من يشترك معهم في حقوق القرابة والجوار من الطوائف والأقليات الدينية.

تحددت هذه الصورة من مجرد خيال خصب، أطلقوا له العنان من دون أي حدود، وجرأة على اختلاق الأخبار، والأجرأ من ذلك استغفال القراء من دون أي احترام للمتخصصين والمدققين منهم، فهم يظنون أن كل الناس تلاميذ بسطاء يصغون إليهم وحدهم، قال محمد الناصر: "المستشرقون يكذبون كما كان يكذب الزنادقة من قبل، وكذلك أهل الأهواء، يريدون بذلك أن يقوضوا صرح الإسلام"[4]، وقال إسماعيل الكيلاني: "ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي"[5].

[1] إسماعيل أدهم، مرجع سابق، ص 30.

[2] عبد الحسين شرف الدين (1957/1873) عالم دين شيعي لبناني عاش في العراق ودرس في النجف حتى تحصل على رتبة الاجتهاد المطلق، له عدة مؤلفات في المجال الشيعي والسياسي، من مؤلفاته: سبيل المؤمنين و المجالس الفاخرة في مأتم العترة الطاهرة..

[3] محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص 188.

[4] محمد الناصر، مرجع سابق ص115.

[5] إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص 14.

3_2 ومن أجل تقييم ونقد علمي لتلك الأكاذيب والافتراءات في السيرة النبوية يمكن تلخيصها في ستة أخطاء منهجية هي: الكذب الصريح في الأخبار، انعدام التحري والموضوعية، ضعف شديد في الأمانة العلمية، الوقوع في الإسقاط التاريخي، عدم الاستفادة من منهج المحدثين في تمحيص الأخبار، وانعدام الأخلاق.

4_ ثبوت الوقائع في التاريخ العلمي عند الغرب:

قبل نحو قرنين من الزمن عرفت أوربا نهضة علمية شاملة، ساعد على قيامها تحرر الفكر من قيود الكنيسة وأغلال البابوات، فتدفقت الاكتشافات والاختراعات في مجالات الطب والهندسة والمواصلات وغيرها، وكان لهذه العقلية العلمية الدقيقة الجديدة بعض الأثر على تطور الفكر في العلوم الإنسانية، فهو لم يعد يقبل الخرافات، وأصبح ناقدا لكل خبر على ضوء المنطق والحس السليم، بالإضافة إلى ما ورثه الفكر الأوربي من مناهج علمية راقية خلفها المسلمون بعد سقوط الأندلس، قال أكرم ضياء العمري: "تبلور منهج البحث الغربي في العلوم الإسلامية منذ القرن الثامن عشر في وسط بعيد كل البعد عن الوسط الإسلامي، وإن كانت جذوره ترجع إلى اتصال الغرب بالشرق عن طريق الأندلس"[1]، فانعكست هذه المعطيات على التاريخ أيضا، فتأسس المنهج التاريخي العلمي، ونادي بالتثبت في الأخبار وظهرت له أعلام ورموز، ونال احترامه ومكانته بين العلوم، قال لويس جوتشلك[2]: "يكون المنهج التاريخي منهجا علميا إذا قصدنا بلفظ العلمية القدرة على التثبت"[3]، هذه بعض القواعد التأريخية العلمية أنقل منها ما يفيدنا في تقييم العملية التأريخية عند المستشرقين وأبنائهم الحداثيين التي سبق عرض نماذج منها وتلخيصها في نقاط منهجية.

4_1 الكذب الصريح: رأينا كذبا صريحا ومتعددا عند المستشرقين، كقولهم بأن عثمان بن عفان أخفى 500 آية من القرآن الكريم، هذا لم يأت في أي رواية صحيحة ولا ضعيفة ولا موضوعة، فهو كذب محض، وهو من أشد الممنوعات والمحرمات على المؤرخ إن كان يدعي العلمية، أو كان أكاديميا مميزا، قال جان سوفاجيه[4]: "الأعمال التاريخية لا تبنى على التخيل بل على الوثائق"[5]، وأكد فوستيل كولانج[1] أن التاريخ يبدأ من النصوص الثابتة في مصادرها من كتب ووثائق، فإن

---

[1] أكرم ضياء العمري، المنهج النقدي عند المحدثين مقارنا بالغربي، مرجع سابق، ص 5 .

[2] لويس جوتشلك: ولد في بروكلين عام 1899م، نال درجة الدكتوراه من جامعة كرونيل في 1912م، ودرس التاريخ في جامعات مختلفة وبين سنتي 1937 _ 1942م كان رئيسا لدائرة التاريخ في جامعة شيكاغو، من مقدمة كتابه "كيف نفهم التاريخ".

[3] لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، ترجمة عائدة سليمان وأحمد أبو حاكمة، دط، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1966م، ص 223.

[4] جان سوفاجيه (1950/1901) مستشرق فرنسي ومؤرخ بروفيسور عني بالتاريخ والآثار الإسلامية، درس في عدة جامعات الفرنسية.

[5] جان سوقاجيه وكلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م، ص 59.

فإن لم يبدأ التاريخ منها فلا يسوى تاريخا، وعلق قاسم يزبك على مقولته: "اشتهر سؤال لفوستيل كولانج كان يوجهه لطلابه قائلا: "هل تملكون نصا؟ وفي بداية كتاب ما يستفاد من درس التاريخ الذي وضعه لانغلوا وسينيوبوس عبارة عن حقيقة ثابتة أصبحت شعارا للمدرسة الجامعية هذا نصها: "يكتب التاريخ بالاستناد إلى الوثائق"[2]، وبناء على ذلك كان من الصعب جدا على المهتمين بالتاريخ الانتحال فيه، وأشد ما وقع من الانحراف في هذا المسار وأثر على الحقائق التاريخية كان بسبب الحفاظ على الروح الوطنية في الأيام الصحبة للدول، كذكر بطولات مزيفة لبعض الزعماء وإنكار انهزاماتهم أيام الحرب، ورغم ذلك فقد جعله المؤرخون خاصا ومؤقتا، ولم يسمحوا به كمنهج دائم، قال قاسم يزبك عن هذه الظاهرة عند المؤرخين الغربيين: "قد يكون إخفاء الحقيقة التاريخية عملا وطنيا في بعض الظروف كما تفعل كل الأمم، ولكن لابد من ظهور الحقيقة بعد زوال الضرورة التي دعت إلى إخفائها حتى يمكن استخلاص أكبر قسط من الحقيقة التاريخية"[3]، أما لويس جوتشلك فقد حذر من خطر الكذب في التاريخ حتى ولو كان غير مقصود فقال: "إن عدم الرغبة في قول الصدق سواء أكانت مقصودة أو نابعة من اللاوعي تؤدي إلى خطأ التعبير عن الحقيقة أكثر من حذف الحقائق"[4].

4_2 انعدام التحري والموضوعية: ادعاء محمد أركون أن لفظ "السنة" لم يوجد إلا بعد 80 سنة من الهجرة هو مثال على انعدام التحري والتثبت من المعلومات، والتسرع في إصدار الأحكام بناء على أول خبر، وهذا ما يرفضه المنهج التاريخي العلمي رفضا قاطعا، "يلزم للمؤرخ أن تتوفر له ملكة النقد فلا يجوز له أن يُقبل على كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء، فيأخذ الصدق أو اقرب ما يكون إليه، ويطرح جانبا ما ليس كذلك، وإذا أعوزت المؤرخ ملكة النقد سقطت عنه صفته وأصبح مجرد شخص يحكي"[5]، نعم، إن التفريق بين العمل العلمي الأكاديمي والعمل العشوائي الشعبوي ضروري، ولو أن العالم لا يتميز عن الناس بهذا الأمر لكان ما يمتاز به من احترام وتفضيل مادي ومعني كسبا حراما وغشا كبيرا، إذا فعليه أن يثبت الفارق في عمله، قال لويس جوتشلك: "عمل المؤرخ هو استخلاص أية ذرة صدق لها صلة بالموضوع إذا كان بإمكانه أن يفعل ذلك"[6]، ولطالما ركز جوتشلك في كتاباته على

---

[1] فوستيل دي كولاج، (1889/1830) ، مؤرخ فرنسي من كتبه الشهيرة " المدينة العتيقة، وهو دراسة رائعة في تأثير الدين في تطور المدن الإغريقية وروما، ولكن أعظم كتبه: "تاريخ النظم السياسية لفرنسا القديمة " (6 مجلدات)، وقد وجه الفكر إلى تفسيرات جديدة لتاريخ أوائل العصور الوسطى.

[2] قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص 34.

[3] قاسم يزبك، مرجع سابق، ص 46:

[4] كيف نفهم التاريخ ص 168

[5] قاسم يزبك، مرجع سابق، ص 47 .

[6] لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 187

وجوب استصحاب الدليل والبرهان في أي عمل تاريخي ولو كان ابتدائيا وبديهيا: "معلوماتنا التاريخية الابتدائية تبقى دوما عرضة لإيراد البرهان"[1].

4_3 الضعف الشديد في الأمانة العلمية: عندما يقول لامانس أن محمدا كان ذا شهية قوية جيدة، وقد اكتظ جسمه فأصبح مهددا بداء السكتة القلبية حتى مات، ولا يحيل إلى أي مصدر عربي أو غربي، فهذا مثال على داء علمي أخطر من السرطان الذي يفتك بالشخص وهو لا يدري، إنه داء فقدان الأمانة العلمية الذي لا يشبه ضعف المناعة في الجسم فحسب، وإنما يشبه صعود الروح من الجسم، لأننا في عمل تاريخي وما أدراك ما العمل التاريخي، وخصوصا التاريخ الإسلامي، قال جان سوفاجيه في رسالة إلى المستشرقين الذين يستبيحون التاريخ الإسلامي: "ودراسة التاريخ الإسلامي يجب أن تخضع لنفس الأساليب والموضوعات التي تحكم الدراسات التاريخية عامة، وهي الدقة والحذر والنظرة الناقدة الواعية، يجب أن يتحلى المؤرخ بالأمانة وحب الحقيقة، وينبغي أن يتعاون المؤرخون والمستشرقون"[2]، هذا عن الأحداث التاريخية عامة، أما عن الآيات والأحاديث فقد أوجب سوفاجيه على المستشرقين تخريجها وعزوها على الطريقة الإسلامية حتى تكون دليلا على الأمانة العلمية فقال: "ومن الضروري أن تتوافر لدى الباحث القدرة على سرعة التخريج للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يستشهد بها"[3].

4_4 الإسقاط في التاريخ: هو رؤية الأحداث التاريخية الغابرة بمنظور الشخص المعاصر، والحكم عليها بالقواعد والظروف الحديثة، مثل ما شاعت الإباحية في المجتمع الغربي المعاصر، وأصبحت من أبرز ظواهره الاجتماعية ومكوناته الثقافية الأساسية، فأصبحت الإباحية صورة يتم اصطحابها عند النظر إلى أي شخص ولو كان من ثقافة أخرى أو من غابر التاريخ، ومن هنا نفسر المبالغة في وصف العرب بالزنا وإلصاق حياة العشق والرومانسية بشباب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة رضي الله عنها، وهما الطاهرين المطهرين، هذا العيب من أصعب العيوب المنهجية على المؤرخين، وقد ألح جوتشلك على وجوب الحذر منه في كتابه "كيف نفهم التاريخ"، وبين قيمة التاريخ من دون إسقاط فقال: "المؤرخ الذي يدرس شيئا ماضيا من أجل الشيء نفسه فقط، وفي عزلة عما حوله، قد يضيف إلى المعرفة إضافة هامة"[4].

إن من أهم صفات البحث التاريخي العلمي أن يحافظ الكاتب على روح العصر والطابع الثقافي للفترة التي يكتب عنها، ويصورها بما يُشعر القارئ أنه يعيش فعلا تلك الفترة، ولا يخلط بين العصور والثقافات، قال لويس جوتشلك: "وفي

[1] لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 164.
[2] جان سوفاجيه، مرجع سابق، ص 25.
[3] جان سوفاجيه، مرجع سابق، ص 142.
[4] لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 106.

الوقت الذي لا مراء فيه بأنها (المصادر التاريخية) تعكس إلى حد كبير الجو الثقافي للأيام التي صدرت فيها ... وعلى ذلك يتحتم علينا دراسة روح العصر لكي نفهم أي وثيقة معاصرة على وجهها الأكمل"[1]، وتحدث عن النتيجة السلبية التي يصل إليها كاتب التاريخ إذا ما حاد عن هذه القاعدة فقال: "إننا لنخفق في فهم الوثائق الخاصة حين نحكم على مجتمعات مبكرة بمقاييس خلقية متطورة ومتأخرة عنها... ونترجم طرق حياة شعب وتقاليده ومستوياته في دراستنا لقطر آخر"[2].

4_5 إهمال منهج المحدثين في تمحيص الأخبار: منهج المحدثين في تمحيص الأخبار ليس له مثيل في تاريخ الفكر البشري قوة وسلامة وصدقا، لا أقول هذا الكلام بناء عن عاطفة، وإنما بناء عن تأمل عقلي محض، فالواقع يشهد أن الإنسان إذا كان يملك شيئا ثمينا، ويحبه حبا شديدا، ثم يراه معرضا للخطر كالسرقة أو التلف، فإنه سوف يبدع في حمايته وحفظه، ويسخر له كل ما لديه من جهد وذكاء، هكذا كانت سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند المسلمين، عندما ظهر الوضع وخافوا عليها من الضياع، أبدعوا منهجا غاية في الموضوعية والذكاء والصفاء، وكل من يتمتع بذهن حر يعترف لهم بذلك، وعليه فلا عجب عندما نجد كبار المؤرخين العلميين الغرب يحترمون منهج المحدثين، ويحثون على الاستفادة منه، وتقليده، بل جعلوا مادته أساسا للتاريخ الإسلامي، قال سوفاجيه: "مادة الحديث تمس حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه وخلفائه وهذا في الحقيقة ما يحتاجه المؤرخ"[3]، وتحدث أكرم ضياء العمري عن التناص الذي وقع بين منهج المحدثين والمنهج التاريخي الغربي فقال: "المنهج النقدي الغربي يؤكد على أهمية الفحص عن دقة الراوي وحالته النفسية عند التحمل والأداء"[4]، وقال: "إن منهج النقد الحديث يرفض التعلق برواية شاذة، ويطالب بجمع سائر الروايات المتعلقة بحادث معين لتكتمل الصورة .. وتكتشف محاولة التزوير وتزييف الخبر"[5].

4_6 إنعدام الأخلاق.

4_6_1 الاعتراف المر: عندما يكذب الكاتب في التاريخ فهو يعبر عن فقره للأخلاق، وحرمانه من ماء الوجه، وقد يصل هذا الفقر إلى درجة استحلال الكذب والاعتراف به، كما وقع مع طه حسين في كتابه على هامش السيرة، قال: "وأحب أن يعلم الناس أيضا أني وسعت على نفسي في القصص ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا، إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي أو بنحو من أنحاء الدين فإني لم أبح لنفسي في ذلك

[1] لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 136.
[2] لويس جوتشلك، مرجع سابق، ص 158.
[3] جان سوفاجيه، مرجع سابق، ص 53.
[4] أكرم ضياء العمري، المنهج النقدي عند المحدثين مقارنا بالغربي، مرجع سابق، ص 42.
[5] أكرم ضياء العمري، المنهج النقدي عند المحدثين مقارنا بالغربي، مرجع سابق، ص 42.

حرية ولا سعة"[1]، وبتتبع فصول كتابه وجد أن مجال اختراعه كان في أخبار الصحابة والخلفاء وأحداث الحياة الإسلامية العامة، جمع محمد سرور نماذج منها وعلق عليها[2]، وأكد إسماعيل أدهم صفة الكذب في أدب طه حسين المتعلق بالتاريخ فقال: "لم يكن الوضاعون يرون الوضع نقيصة أخلاقية ولا معرة دينية، بل إن أساطين الأدب وجهابذته كانوا ينتحلون الكلام"[3] وهمش على هذه العبارة بكتاب الأدب الجاهلي لطه حسين بعدة صفحات كأمثلة للانتحال، وبدوري أتساءل عن الاختراع والاختلاق عند طه حسين إن كان عنده درجات ومراتب بعضها يجوز دون بعض؟، فهل كانت قصص الصحابة ومواقفهم كأساطير الرومان لا تعني لطه حسين شيئا؟ ألم يلجأ الأمة إلى استمداد الفقه والتشريع من مواقفهم وتصرفاتهم؟ لا سيما الخلفاء الراشدون منهم ،كونهم أكثر الناس فهما للقرآن الكريم والسنة الشريفة، وأحسنهم تطبيقا لهما، ولهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم.

4_6_2 الأخلاق في الميزان العلمي: الأخلاق صفة ترتبط بالبحث العلمي النزيه ارتباطا وثيقا، فعندما يتجنب الباحث الكذب والسرقة العلمية والذاتية والتزوير والاتهام من غير دليل.. ويلتزم بالصدق والأمانة والإنصاف وما يتطلبه ذلك من شجاعة في تحد للمحيط الفاسد الذي يعيشه..، يجد نفسه مغمورا بالفضيلة، متمتعا بخلق عظيم، مستحقا لاسم العالم، مؤديا لحق العلم على أكمل وجه، وقد ذكر هرنشو[4] أسماء بعض المؤرخين النزهاء ثم قال: "يرون أن الفائدة الأخلاقية هي بالدقة ما يجعل للتاريخ قيمة من حيث التربية، يقول بولنجلروك: لقد بان لي أن دراسة التاريخ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة"[5]، هذا ما يقوله غير المسلمين عن الأخلاق في البحث العلمي، أما العلماء المسلمون فلا يُسأل عنهم هنا، فمن أي دين وعلى أي ملة يكتب المستشرقون وأتباعهم الحداثيون يا ترى؟

خاتمة:

تميزت دراسة السيرة النبوية عند المستشرقين والحداثيين بالاختلاق والانتحال ومصادمة الحقائق التاريخية، والتجرد من صفات البحث العلمي النزيه وأخلاقه، وهذه الطريقة تتعارض تماما مع ما يتطلبه البحث العلمي في التاريخ سواء عند المسلمين أو عند غيرهم، فلم يوفقوا على نقل السيرة النبوية بأمانة، وعلى أي منهج محترم، ولم يبق لهم غير الخيال والتصور

[1] طه حسين، على هامش السيرة، دار المعارف، ط 31، 1987، ص ك من المقدمة.

[2] محمد سرور، مرجع سابق، ص 232 و246 و 255 و256.

[3] إسماعيل أدهم، مرجع سابق، ص 33.

[4] ج. هرنشو، مؤرخ بريطاني تحصل على الأستاذية في التاريخ من جامعة لندن سنة 1913، وألف عدة كتب في التخصص تشهد له برسوخ القدم وطول الباع في التاريخ، من مقدمة المترجم، انظر التهميش الموالي.

[5] ج. هرنشو، (j.c..hearnshaw)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1937م، ص 158.

الحر والأحكام المسبقة كأدوات تتحكم في كتاباتهم، وهذا عيب علمي عظيم، مزق غشاء الموضوعية والدقة المنهجية الذي غلفوا به مقدمات كتبهم، ونتجت عنه أضرار بليغة على السيرة النبوية الشريفة وعلى ذهن القارئ الغربي، هذا القارئ الذي تم حرمانه من معرفة الحقيقة، وأغلقت في وجهه فرص الهداية، فأصبح يعاني من الكراهية والإسلاموفوبيا، وكل ما يقع في عالمنا من حروب وتقتيل ومآسي على المسلمين يعود إلى هذه الظاهرة التي صنعها الاختلاق والتزوير، ويالها من جريمة.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم فوزي، تدوين السنة، رياض الريس للنشر، ط3، 2002م.
2- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1994.
3- إسماعيل الكيلاني، لماذا يزيفون التاريخ ويعبثون بالحقائق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1993م.
4- إسماعيل أدهم، من مصادر التاريخ الإسلامي، مطبعة صلاح الدين الكبرى، القاهرة، ط1، دت.
5- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999.
6- ج. هرنشو، (j.c..hearnshaw)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1937م.
7- جان سوقاجيه وكلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م.
8- خالد كبير علال، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دار المحتسب، الجزائر، ط1، 2008.
9- سالم علي البهنساوي، السنة المفترى عليها، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 1989.
10- عبد الله محمد النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء وات وبروكلمان وقلهاوزن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997.
11- عبد العظيم إبراهيم المعطي، أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999.
12- عبد العظيم المطعمي، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999، ص 86.
13- عبد الله النجدي القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، المجلس العلمي السلفي، لاهور، باكستان، دط، 1986.
14_ غازي محمود الشمري، الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية، دار النوادر، دمشق، ط1، 2012.
15- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.
16- طه حسين، على هامش السيرة، دار المعارف، ط 31، 1987.
17- لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، ترجمة عائدة سليمان وأحمد أبو حاكمة، دط، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1966م.

18- محمد محمد أبو ليلة، محمد بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودينسون، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1999م.
19- محمد بن إسحاق، سيرة ابن اسحاق، دار الفكر، بيروت، ط1، 1978.
20- محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
21_محمد سرور بن نايف، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1988م.
22- محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر، الرياض، ط3، 2001.
23- محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1982.
24- ناصر بن عبد الكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2001.